

انفتاح الرواية الجزائرية المعاصرة على التناص

الما شاء ... هلابيل...النسخة الأخيرة لسمير قسيمي - أنموذجا-

*The openness of the contemporary Algerian novel to
intertextuality**What He Wants...Halabel by Samir Qassimi - as a model*

جنادي زوليخة *Djenadi zouleykha

المركز الجامعي مرسلي عبد الله-تيزازة- الجزائر

UNIVERSITY CENTRE MORSALI ABDULLAH TIPAZA ALGERIA

البريد الإلكتروني: zodjenadi@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/22	تاريخ القبول: 2025/05/12	تاريخ الإرسال: 2023/05/28
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

هناك انجذاب نحو الأعمال التي قدمها الروائي الجزائري "سمير قسيمي"، نذكر منها روايته: "الما شاء ... هلابيل...النسخة الأخيرة " الزّخرة بالإحالات النصّية، التي ساهمت في إنتاج الدلالة، الأمر الذي يجعلنا نطرح الإشكالية التالية: كيف انفتحت رواية الما شاء ... هلابيل على النصوص الدينية والتاريخية؟

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إعادة بناء المعنى الموجود في الرواية من خلال الاستعانة بقضية نقدية هامة كالتناص، التي ستحقق لنا ذلك التحيين الدلالي، والكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة، وعلاقتها بمرجعها الخارجي، الثقافي والتاريخي، الذي يعطي أهمية للرواية بالانفتاح على الفكر الإنساني.

الكلمات المفتاحية: القصص الديني، النص التاريخي، كانفتاح النص الابداعي.

Abstract

There is an attraction towards the works presented by the Algerian novelist "Samir Kosimi", among which we mention his novel: "Al-

* العنوان المهني والبريد الإلكتروني

Masha'a ... Halabil ... the last version", which is full of textual references, which contributed to the production of the significance, which makes us pose the following problem: How did the novel unfold? What the heck... blasphemy on religious and historical texts?

Through this study, we aim to reconstruct the meaning in the novel by resorting to an important critical issue such as intertextuality, which will achieve that semantic revitalization, reveal implicit cultural patterns, and their relationship to their external reference, cultural and historical, which gives importance to the novel in opening up to human thought.

Keywords: religious stories; historical text; The openness of the creative text

*** **

مقدمة: مقدمة:

هذه الدراسة تتجاوز الدراسات السابقة التي استنطقت هذه الرواية استنطاقاً ما بعد كولونيالياً، وتاريخانياً جديداً إلى رؤية أوسع انشغلت بالفكر الديني، والفلسفي، والعقلاني، واللاعقلاني، والمما بعد حدثي مثيرة مسائلاً عديدة كفكرة الوجود المتجه إلى العدم، والاستحواذ على المعرفة كأداة للسيطرة، وانتشار الهيمنة في كل الاتجاهات، الأمر الذي يجعلنا نطرح الإشكالية التالية: ما هي الآليات التي يستعين بها المتلقي للوصول إلى التّحيين الدّلالي لرواية الما شاء...هلابيل؟، وماهي المرجعيات المما بعد حدثية التي اتكأ عليها الروائي في سرده للرواية؟

حثاً للخطى صوب مناقشة هذه الأسئلة قسّمنا هذا البحث إلى عنوانين رئيسيين كالتالي: الأول موسوم ب:التناص مع النصّ الديني، أما العنوان الثاني هو: التناص مع الأسطورة والنصّ التاريخي، وفي الأخير توجّنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

اتكأنا في دراستنا هذه على منهج الوصفي الذي قمنا فيه بوصف الأحداث التي تعود إلى ما هو ديني، وتاريخي، ومعرفي، وعجائي، وسحري، وهامشي، كما استعنا بالمنهج التحليلي الذي ساعدنا على تفسير بعض الأفكار المما بعد حدثية التي انشغل بها الفكر، وهذا ساعدنا على تأويل النصّ اعتماداً على التناص.

لذلك نهدف للفت الانتباه إلى دور التناص في إعادة بناء المعنى، مع الإشارة إلى التطور الذي تشهده الرواية الجزائرية المعاصرة في محاولة فرض نفسها على الساحة العالمية متحدة النموذج الغربي في واقع يشهد استلابا ثقافيا في شتى المجالات، غير أن رواية الما شاء... هلا بيل تجاوزت هذه التبعية بفرض هويتها خاصة عندما مسّت الجوانب الإنسانية برؤية عربية مركّزة على الفطرة السليمة التي تستقر في الأذهان على النحو المبين.

2. الانفتاح على النص الديني:

التناص مع القصص الديني في رواية الما شاء:

يمكننا إضاءة الجانب الوجودي في الرواية بالاعتماد على آليات قراءة عديدة منها آليات المنهج السيميائي، والتناص، وهذا الأخير له تعريفات شتى، فهو مصطلح سيميولوجي وتفكيكي معاً، يذهب أصحابه، وفي مقدمتهم كريستيفا وبارت وجينيت، إلى أن أي نص يحتوي على نصوص كثيرة، نتذكر بعضها، ولا نتذكر بعضها الآخر، وهي نصوص شكّلت هذا النص الجديد. ولذلك قالت كريستيفا "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"، وعليه يشكّل التناص علاقات بين النصّ الحاضر والنصّ الغائب، أو بين الداخل والخارج، ففي النصّ الحاضر علاقات مع نصوص كثيرة سابقة أو معاصرة، مختزنة في الذاكرة في اللاوعي، كما يقوم بتشكيل النصّ الحاضر من هذه النصوص الغائبة، ولهذه الأخيرة علامات حضور في النصّ الجديد، ولذلك يمكننا أن نستعين بها في إلقاء الضوء على النصّ الجديد وتأويله.

يمكن للفظلة واحدة أن تحيلنا إلى قصة كاملة كلفظة هلا بيل التي جعلت من الرواية تنفتح على النسق الديني، وعلى القصص القرآني، وبالتحديد قصة "هلا بيل وقابيل" التي تحمل الكثير من العبر؛ حيث انتهت بأول جريمة قتل في تاريخ البشرية، التي بقيت آثامها متعاقبة الدهر؛ إذ تكررت في متن رواية الما شاء... هلا بيل منذ أن وطأت

أقدام فرنسا المدنّسة هذه الأرض الطّاهرة إلى آخر الرواية، وهذا ما سنكتشفه من خلال هذه الدّراسة.

انشغل الفكر الإنساني منذ الأزل بثنائية الخير والشر ، وهي تتجلى في قصة قابيل وهابيل، فهذا الأخير يرمز للخير، بينما قابيل يرمز للشرّ ؛ حيث كان الأول رقيق القلب طيّب النّفس، كلّف برعاية الغنم والبقر لأنها تحتاج إلى العطف، بينما الثّاني كان قاسي القلب، فكّلّف بزراعة الأرض القاسية" ، امتهن الرّعي أغلب الأنبياء ، وهذا لحكمة تتمثل في القدرة على تحمّل المسؤولية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيته"، بينما مهنة الزراعة تحتاج إلى القوة والقسوة، وهذا ما نشهده في الوقت المعاش، فالذي يهيمن على الزّراعة اليوم يستعملها كأداة للسيطرة على الشّعوب المستضعفة.

أشرنا إلى سيميائية العنوان التي انفتحت على القصص القرآني؛ حيث أحالتنا إلى ذلك الشرّ الذي تسبّب في أول جريمة قتل، والسبب أنّ حواء كانت تلد من بطنها ذكرا وأنثى، ولدت قابيل وتوأمه الجميلة والفاتنة، وبعد سنة أنجبت هابيل وتوأمه التي كانت أقل جمالا من أختها. شاء القدر أن يتزوج هابيل من توأم قابيل فرفض هذا الأخير ذلك لأنه أرادها لنفسه، ولكي يفصل هذا النزاع طلب سيدنا آدم منهما تقديم قربان إلى الله

-عز وجل- ومن يتقبل قربانه يتزوج بالجميلة، "قدّم هابيل كبشا سميّنا، بينما قابيل كان بخيلا فقدّم أردأ ما عنده مما حصده، فتقبّل الله قربان الأول لصديق نيته، ولم يتقبل قربان الثّاني لسوء نيته" ، فالعبرة ليست في القربان وإنّما في التّفوّق والإيمان ، وبعد ذلك ظهر الحسد، وانتشر الغضب على وجه قابيل فقرّر قتل أخيه حسدا، وغيره لأنه سيتزوّج من أخته الجميلة، قال تعالى: {وَاتْلُوا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدٍ وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ...} ، وبعدما قتله صار من الخاسرين ، لأنّه استهان بالروح، والنّفس

البرينة التي قُتِلَت من غير ذنب، فجريمة القتل تتكرّر عبر الزمن فكّم من مظلوم يُقتل اليوم، وكّم سفكت فرنسا من دماء جزائرية.

وعليه فالكتابة نتاج لتفاعل عدد كبير من النصوص المخزونة في الذاكرة القرائية، وكل نصّ هو حتماً نصّ متناسّ، ولا وجود لنصّ ليس متداخلاً مع نصوص أخرى

2.2. عنوان فرعي ثاني التنّاص مع سورة الكهف

نجد بأنّ رمزية الكهف حاضرة في هذه الرواية التي تبتدئ بحوار خلقون وأصحابه داخل الكهف، فالكهف له عدة دلالات، ويمكن الوصول إليها من خلال اضاءات خارجية اجتماعية وسيكولوجية كصورة الإنسان واغترابه الرّوحي و المكاني، ومأزقه الاجتماعي، والنّفسي، والسياسي، والكوني، كلجوء سيدنا آدم وهروبه من الوحوش عندما أنزله الله إلى الأرض، وكذلك العبرة من قصة أهل الكهف التي جاءت في الدّكر الحكيم.

بعدما هرب سيباستان دي لاكرو من شرّ فرنسا تغيّرت حياته مثلما تغيرت حياة أصحاب الكهف الذين قام الله بتسخير الكون لخدمتهم؛ حيث سخّر حرارة الشّمس لهم للحفاظ على أجسادهم، قال تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ...، وترى الشّمسُ إذا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ} ، وكذلك سيباستيان دي لاكرو فهو الشخصية الرئيسية في الرواية، ومترجم حربي فرنسي مولود بمدينة طولون عام 1778م، دخل إلى الجزائر عام 1830م، وهنا يزاوج الروائي بين الشخصية الخيالية و التاريخ الجزائري الواقعي والحقيقي.

كان هذا البطل يمتلك فطرة سليمة، وعندما رفض الشّر، والطغيان اهتدى إلى الطّريق المستقيم بعدما كلّفه الدّاي أحمد بإيصال أمانة أودعها عنده؛ حيث اكتشف الحقيقة فاستقرت في ذهنه صورة الدّين بعدما اطّلع على "هو الله الذي لا اله إلا هو..." ، وبهذا أعلن عن إسلامه وتزوّج "بفاطمة بن عباس، وغيّر اسمه إلى الربيعة الفّراش بن حمدان، وأنجب ابنا اسمه بلقا سم " ، بلقا سم هو أب رابع الذي أنجب

السايح وقدر ، وهذا الأخير هو الذي سيحرك أحداث الرواية التي ستنتفتح أنساق عديدة.

بينما التناص مع قصة أهل الكهف تختلف عن أسطورة أفلاطون، فهي تقدّم العبر في هذه الحياة. فالكهف هو عبارة عن ملجأ، ومأمن من الشر، والظلم، وكذلك أوى سيدنا آدم إليه عندما أنزله الله من الجنة هروبا من الوحوش، والسباع، والنمور، والضّباع. وكذلك هرب المستشرق سيباستيان دي لاکرو من جبروت فرنسا مستنجدا بالذّاي أحمد بعد أن اتّهم بالخيانة لفضحه للإيديولوجية، والكولونيالية الفرنسية ، فشككت" اللّجنة الفرنسية بأنّها في ولاية سيباستيان لفرنسا" ، لأنّها لم تستطع أن تجعل منه عقلا أداتيا يخدم مصالحها الإستدمارية، فهو الذي كشف عن جرائم فرنسا، كما وصف " واقعة العوفية بالمجزرة التي قامت فرنسا بتغيير وقائعها متهمة القبيلة بسرقة أمتعة المبعوثين الفرنسيين" ، غير أن الحقيقة ذكرها سيباستيان دي لاکرو في مخطوط له، مفصحا بأن قبيلة العوفية أبيت بمؤامرة، وخيانة من طرف الخائن أحمد بن شنعان الذي ينتمي إلى إحدى الطوائف المعادية للإسلام؛ حيث قام بإفشاء كل خطط الذّاي احمد، بعدما " استدعي لمأدبة عشاء، وهناك تعرف دي لاکرو على بن شنعان الذي قام برشوة الجنود الأتراك ليتركوا مواقعهم، وهذا لدخول أمن من سواحل سيدس فرج" ، وكانت مهمة سيباستيان ترجمة كل ما يقوله أحمد بن شنعان.

أثناء قراءتنا للرواية وجدنا إحالات نصية تعود إلى الكتابة الثمودية التي ارتبطت بالطقوس التي كان يقوم بها الوافد عباد النوي في منطقة الجلفة، الأمر الذي تتجلى قضية العدمية في الرواية مع شخصية "الوافد بن عباد" المدعو "الشيخ النوي"؛ حيث "تدحرج الإنسان إلى خارج المركز نحو المجهول" ؛ حيث التيه، أو الأكذوبة، أو الوهم الذاتي وفقدان الأسس الأخلاقية و منظومة القيم لثباتها، يعتبر "الشيخ النوي" إنسان خارق خلق قيّمه الخاصة وفرضها على الحياة، وهذا ما جاء في رسالة "بن شنعان الخائن إلى شيخه الوافد بن عباد"؛ حيث ضرب أعداءه بفرنسا عندما طلب منها إبادة "العوفية" وتعذيب شيخهم الذي فضح طائفة الوافدين الذين وضعوا صلاة غير صلاتنا ودعاء لم يحفظه القلب و رتائل يرتلون وينشدونها" ، فمحاولة الإنسان خلق

عالم بعيدا عن الله ينتهي إلى الفوضى وهذا ما حدث في الأقوام التي كفرت بالله، وهذا موجود في الذكر الحكيم، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ،...، وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}، هذا التناص الموجود في الرواية يحيلنا إلى عوالم كثيرة تجعل من القارئ يطرح عديد الأسئلة، ويدخل في حوار مع المبدع الذي يثير تفكيره في إعادة قراءة التاريخ، والبحث في الأرشف للوصول إلى حقيقة ما.

نستشف بأنّ "النصّ هو مجموعة من الاقتباسات المجهولة، والمقروءة، والاستشهادات الإستنساخية، وهي التي تضمن انتاجية النص، وممارسته الدالة عبر نسيجه المتشابك، والنسيج هو الأصل الاشتقاقي للنصّ"، وهذا التعريف يتفق مع ما أورده أورد تودوروفوديكرو في المعجم الموسوعي لعلوم اللغة أن " كل نص هو امتصاص، وتحويل لكثير من نصوص أخرى، فالنص الجديد هو إعادة إنتاج نصوص، وأشياء أخرى، سابقة أو معاصرة قابعة في الوعي، واللاوعي الفردي، و الجماعي.

كما تحيلنا شخصية الوافد بن عباد في الرواية إلى نظرية العود الأبدي لنييتشه، التي أحياها في كتابه: هكذا تكلم زرادشت، فهذه النظرية تم إسقاطها من قبل العلم لأنها تفترض أنّ الكون، وحياة الإنسان بما فيها من أحزان، وآلام، وأفراح ستتكرر بعد الموت من خلال إعادة خلق هذا الكون، وهذا الاعتقاد كان موجود في الديانة البوذية التي كانت ترى بأنّ هذا العود سيبقى يتكرر للأبد، وبصفة غير منتهية، وهذا "ما يؤدي إلى الملل، والعبث، وتوصل إلى أنّ الكون محدود لأن كل الأشياء الموجودة ستستنفذ في يوم من الأيام، ثم تعود وتتكوّن من جديد فهي تتكرّر في دورة غير متناهية، وبهذا يصير الزّمن مفتوحا وغير محدود"، وكذلك زمن عباد النوي مفتوح حيث عاش زمن الاستعمار الفرنسي إلى الوقت الحاضر فهو لم يمت لأنّه من المغضوب عليهم لأنه يرتبط بقوم ثمود، ويقوم بتطبيق طقوس لم يعهدها المسلمين وهذا طبقا لم جاء في الرواية من الإحالات النصية للكتابة الثمودية، وترسبات الذاكرة والمجتمع والتاريخ والثقافة؛ حيث اكتشفها الباحثة الفرنسية "ميشال دوبري المتخصصة بالبحث عن كل ما يتعلق بالمستشرقين الفرنسيين في الجزائر من ق19 إلى ق20؛ حيث قدّمت استقلالها

بعد سنتين متجهة للتدريس بابتدائية في باريس، ثم قررت السفر إلى الجزائر في 1915 وبعدها عثر على جثتها محروقة في المسرح" ، وكل من يكتشف حقيقة عباد الوافد مدعو الشيخ النوي تُحرَق جثته لكي يتطهر من الذنوب، وهنا تتجلى العجائبية في هذه الرواية التي تجعل المتلقي يثير طاقته التخيلية من خلال الصّور المخيلة الموجودة فيها.

3. التناسع مع الأسطورة والنّص التاريخي

1.3. التناسع مع أسطورة الكهف لأفلاطون:

تحدّث هايدجر عن أسطورة الكهف لأفلاطون (PLATO)، التي استند عليها في كتابه: نداء الحقيقة ؛ حيث اقتبسها من محاورات أفلاطون بهدف شرح نظرية الحقيقة، و"رمز الكهف يروي حكاية تنمو وتتطور في حوار سقراط مع جلوكون...أناس يقيمون تحت الأرض في مسكن أشبه بالكهف، يقيمون منذ الطفولة مقيدين بالسلاسل من سيقانهم ورقابهم، فلا يملكون إلا النّظر إلى الأمام ليروا ما يواجههم، عاجزون عن التلفت حولهم برؤوسهم " ، القيود والسلاسل هي الارتباط الجسد بالأرض، والهدف من هذه الأسطورة التي نشرها هايدجر مع الترجمة الألمانية هي استنطاق زيف الحقيقة التي كان يؤمن بها أفلاطون فالحقيقة تبقى نسبية ورمزيتها تتجلى خاصة عندما تخيلوا " كيفية عبور النّاس على طول جدار صغير حاملين مختلف الأشياء من تماثيل وصور من الحجر والخشب وغير ذلك مما يصنع البشر ...، بالرغم من أنهم مقيدين ينظرون إلى فوهة ينبعث منها توهج طفيف من النار، وفوق رؤوسهم قبة الكهف " ، وكان تفسير أفلاطون لهذه الحكاية كمايلي:

الكهف هو الصورة ، والنار المتوهجة هي الشمس ، وقبة الكهف هي السماء ، والسلاسل و القيود هم البشر المرتبطين بالأرض ومقيدين بها وكل ما يشغلهم هو الواقع والوجود في مظهره المرئي ، فهؤلاء المسلسلين يتخيلون العالم المتخفي، والمحتجب عن عيونهم، ويقاومون تلك القيود عن طريق الخيال، وهذه الأسطورة استعملها هايدجر من أجل التمييز بين الوجود الحقيقي والوجود الزائف، فهي تحمل دلالات رمزية عن الوجود المزيف للإنسان في الأرض، وإذا ماربطنا بين الشّر والاتجاه نحو العدم،

يُستَحضَر مفهوم الانعطاف من الوجود إلى العدم عند مارتن هايدجر (MARTIN HIEDEGER)، الذي تضرّر من الحربين العالميتين الأولى والثانية، فانشغل بالتحري عن حقيقة ما يحتجب في العالم، وفي الظواهر التي لم تظهر، ومحاولة إظهارها بطريقة ما، وعليه أفكاره تتناول المشاكل الروحية في هذا العصر، خاصة عندما طرح هذا الأخير سؤاله: لماذا ثمة وجود ولم يكن ثمة عدم؟، وهذا السؤال أحدث انعطافا من فلسفة الحداثة إلى فلسفة ما بعد الحداثة لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعرف بأنّه سيموت في يوم من الأيام، فهو كائن متناهٍ، وعابر سائر إلى الموت، وهذا ما يجعله في حيرة وقلق دائمين، وظاهرة الموت هي التي تمثّل العدم الذي يتماشى مع كل تفاصيل الحياة؛ أي يمكن للإنسان أن ينتهي وجوده في أية لحظة، وبهذا فهو يعيش معك عبر الزمن فالكينونة، والوجود مرتبطان بزمن محدّد، لذلك رأى بأن الإنسان الغربي تجرّ ، وتسلّط من أجل الحصول على المال، وثروات الشعوب المستضعفة، فدخل في كفاح دائم سبّب له القلق، وعليه فالصّراع الموجود بين المركز والهامش سببه ذلك السباق الرّهيب لإحراز أكبر حطام في الدّنيا من أجل تحقيق وجود زائف، وهذا يحصل عندما " يتغافل الإنسان عن تلبية نداء الوجود، ويغرق في ظلام الحاضر ويجعله شغله الشاغل" ، وبهذا يسقط في حياة مبتدلة، ووجود مبتدل والسبب لأنّ القلق الوجودي قاس، ولا يمكن احتماله، ففي كتابه: الكينونة والزمان تساءل عن الغفلة التامة عن الوجود، للخروج منها طرح سؤاله المعروف: " لماذا كان ثمة شيء ما، ولم يكن بالأحرى لا شيء" ، وإذا أعدنا صياغة هذا السؤال يمكن طرحه على هذا النحو: لماذا كان وجود الموجودات بدلا من العدم؟ واضعا التراث الميتافيزيقي الغربي موضع السؤال، وهنا يتقاطع الوجود الزائف لفرنسا في الجزائر من خلال احتلالها؛ حيث تسببت في الكثير من المآسي لهذا الشعب، وهذا بسبب الفهم الخاطئ لهذا الوجود.

مما سبق نستنتج ، بأنّ الشّر الموجود داخل النّفس البشرية هو الذي يتسبب في ارتكاب جريمة القتل، والسبب الرئيس هو عدم الرضا بقسمة الله العادلة، لذلك يحاول الإنسان نهب وأخذ خيارات أخيه بأوامر من النفس الأمارة بالسوء وهذا ما تجسّد عند قابيل، وعند المستعمر الفرنسي، وعند كل من يفتقر إلى الفطرة السليمة..

2.3 التناس مع النص التاريخي:

من بين جرائم فرنسا التي لا تغتفر نذكر واقعة العوفية التي "قام المستدمر بإبادة كليا" ، وهذه القبيلة : هي قبيلة من قبائل مدينة الجزائر العاصمة تقع شرق وادي الحراش وتسمى الآن بالمحمدية ، أبيدت كليا بأمر من الدوق دي رافيجو ، أما قائد القبيلة هو "الربيعه " الذي أحضر رأسه هدية للدوق، بنما جثته أحرقت" هذه الواقعة التي جاءت في متن الرواية تجعلها تنفتح على النص التاريخي، لذلك يعتبر التناس "علاقة حضور مشترك بين نصين، أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية، وهي في أغلب الأحيان حضور فعلي لنص في نص آخر" ، فالتناس هو مفتاح من مفاتيح قراءة النص، وتحليله، وإعادة تركيبه، "وهو اليوم بمثابة أداة مفهومية بقدر ما هي علاقة، ورواق إبستمولوجي يشير إلى موقف وإلى حقل مرجعي، واختيار رهانات معينة" ، ومنه ينتج عن التناس توليد وتحوير للمعاني، ينفتح على التأويل، والتلقي،

أما التناس عند يوغراند ورسلاز هو "ترابط بين انتاج نص معين، أو قبوله بين المعارف التي يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى" ، وعليه فالنص الأدبي يتشكل عبر تفاعل نصوص متعددة، وهذا التفاعل لا يغفل التفاعلات الاجتماعية، والتاريخية، وهو "تفاعل النص في نص عينه" ، نستنتج بأن التناس يقوم على جدلية حضور الغياب، والجديد القديم، والحاضر الماضي، ويلغي الملكية الخاصة بموت المؤلف، ونقاء الأجناس الأدبية بتداخل النصوص المختلفة الأجناس، والمناهج اللانصيّة حين يُفسّر النص بالنص، ويرتبط هذا المصطلح بفكرة التكرارية أو النظرية التكرارية التي يلغي بها (جاك دريدا) وجود حدود بين نص وآخر وتقوم هذه النظرية على مبدأ الاقتباس ومن ثم (تداخل النصوص أو التناس) وهذا يعني أن أي نص هو خلاصة لما يخص من النصوص قبله، وعليه نجد في "فضاء نص عدد من الملفوظات مستمدة من نصوص أخرى يلغي بعضها بعضها" ، فالنص الجديد يحمل ملامح المؤلف الجديد.

الجريمة العوفية تحيلنا إلى علاقة الهامش بالمركز في رواية "الما شاء" لسمير قسيبي؛ إذ تضمنت الكثير من الأهواء الإيديولوجية، فهي زاخرة بالإحالات إذ نجد فيها ترسبات الذاكرة، والتاريخ كتواجد الدولة العثمانية على الأراضي الجزائرية، والاستعمار الفرنسي، وجرائمه الشنيعة؛ حيث يصحّ بطل الرواية "سيباستيان دي لأكرو" عن أول جريمة قام بها الكونت الفرنسي الذي دخل إلى مسجد سيدي فرج ليستقر فيه بعد إجلائه..."دنسه الجنود، وهي جريمة ضد الرب، والإنسانية"، لقد نقلت الأحداث عبر عمليات التخيل الجمالي ذات الطابع الرمزي؛ حيث تجلّى فيها دور الاستشراق في مقال "امانويل" كان يرى بأنّ المستشرقين هم جواسيس الثقافة، وكتب عنهم أنّهم "آلة كولونيالية تمهّد للاستعمار إلى حين يحصل"، ومنه يتجلّى "دور الاستشراق في تركية المركزية الغربية"، إذ يقول المستشرق الفرنسي "سيباستيان دي لأكرو": "هي سفينة استعملت من طرف الضابط بوتان في مهمة تجسس...إلى سواحل الجزائر تمهيدا لاحتلالها".

هذا المستشرق يرتبط بكل أحداث الرواية، فهو يرتبط بأهم الشخصيات التي تحرك الأحداث التي تعرض علاقة الهامش بالمركز ضمن بنية السرد، وعليه "فإنّ القراءة السيميائية للنص تقدم التفسير الأقرب و الأكثر تأصيلا"، إنّ الأمر يتصل بكون أن المقاربة النقدية النصانية التي تحلل و تفسر و تعيد تجميع العناصر المفككة في النص الذي يحوي محمولات نسقيه مضمرة تختفي وراء بنية جمالية، يتم تفكيكها وإعادة تركيبها بالخروج من الصّمت إلى الفضح والتّعرية، والكشف عن الإيديولوجيا الغربية المقتّعة التي كشفها سيباستيان دي لأكرو،

المستشرق "سيباستيان" هو "الربيعة الفراش" وهو جد "قدور"، وبهذا امتزجت الأعراق اختلطت عن طريق الزواج، وبهذا ظهر قدور إلى هذا الوجود الذي دخل إلى السّجن بتهمة قتل، في سن العاشرة دفاعا عن شرفه من المراهق فاروق الذي يلتمهم براءة الأطفال، وبعد دخوله للسّجن حاول أن يعتدي عليه حارس السّجن، فقتله هو كذلك، ومكث بعدها 18 سنة، وبهذا تظهر تلك السّلطة التي تستعمل ضد

المظلومين من خلال أجهزة الدولة الإيديولوجية، باعتبار أنّ أجهزة، ومؤسسات المجتمع المدني هي امتداد لبنية الدولة، وباعتبار أنّ الدولة هي تكثيف لميزان القوى فإنّها تؤطّر مجمل الحياة الاجتماعية لأنّها بؤرة تمرکز السّلطة، وتخترق مجمل البناء الاجتماعي، وهذه الأجهزة يمكن أن تكون قمعية ينتهي إليها المثقفين في أسلاك التعليم، والقضاة، وغيرهم من أعضاء المجتمع، وهنا يتم استحضار "التوسير" الذي حدّد مكونات أجهزة الدولة التي تتمثل في أجهزة إيديولوجية، وأخرى قمعية، فالأولى "تتمثل في المؤسسات الدينية، ونظام التّعليم، ومنظومة القانون، والأحزاب السياسيّة، وأجهزة الإعلام، والعائلة، أمّا الثّانية فهي الشرطة، والقوات المسلّحة، والسّجون"، وكيف تعمل على تطبيق مميّز لعمل ذهني للدولة الرأسمالية، لذلك تنبّه "غرامشي" إلى آلية عمل هذه الدولة، "واحتكارها للعمل الذهني داخل مؤسساتها"، حيث تعتبر هذه الآلية تعبيراً صريحاً عن مصالح الطبقة الحاكمة، وهذا ينعكس البناء التّحتي للعلاقات المادية للإنتاج انعكاساً مباشراً في البناء الفوقي الإيديولوجي للأفكار التي تعطي صفة الحكم الطبيعي للطبقة المسيطرة.

بعد خروج قدور من السجن عمل حمالاً في السّوق، ودخل في علاقة غرامية مع "نوى الشيرازي" المرأة المومس، فهما شخصيتان ترمزان لأولى الخطايا التي قامت بها البشرية وهي القتل وإغواء المرأة للرّجل. تشابهت أيامهما كأنّها يوم واحد طويل، ولكن حياتهما تغيّرت بعدما اكتشف قدور بأنّ جده "سيباستيان" أسلم معتقناً الدّين الإسلامي أثناء حفظه للأمانة التي كلّفه بها "الدّاي أحمد".

4. خاتمة:

من خلال هذه الدّراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

التّناسل يحمل المعنى الذي وضّحه باختين في كتابه: فلسفة اللغة، وهذا ما أكّده النّاقّد عبد المالك مرتاض الذي قال بأنّ باختين هو: "الذي أسّس مصطلح التّناسل"، ومن بعده قامت جوليا كريستيفا بإجراءات، وتطبيقات للنص في دراستها الموسومة بـ: ثورة اللّغة الشّعريّة، وهنا يبرز تأثّر كريستيفا بحوارية باختين، فهي تنظر إلى النص على

أنه مجموعة نصوص متعلقة فيما بينها، ومجموعة خطابات متعددة أو =مجال للالتقاء بين النصوص؛ حيث نجد خطاب المتكلم، وخطاب المتلقي، وعليه فالحوارية هي التناص عند كريستيفا، والنص هو قيمة مضافة بالرغم من أنه قام بامتصاص الكلمات، والأفكار من نصوص أخرى.

من خلال انفتاح الرواية على الفكر الإنساني، وعلى الجدل القائم بين الخير والشر الذي يعود إلى القصص القرآني، والثقافات الإسلامية، واليونانية، تم الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة في علاقتها بمرجعها الخارجي والثقافي والتاريخي، وتظهر ذلك في تداخل الثقافات في الوقت المعاش هجينة، الذي يدل على ذلك أن قدور الجزائري هو حفيد للمستشرق الفرنسي سيباستيان دي لاكرو؛ حيث يشتركان في الفطرة السليمة، وهي النفس السوية، والخيرة التي تبحث عن الصراط المستقيم.

الرواية الما بعد حدثية خاصة الجزائرية عملت على تبيان العلاقة المتداخلة بين المجتمع والتاريخ والنصوص.

رواية الماشاء ربطت بين الاستشراق والعقائدية التي حاولت نسف الإسلام بإبادة قبيلة الربيعية، كما ربطت بين السياسة ومنطق القوة، وذلك من خلال الإشارة إلى الاستشراق ودوره في الإخضاع والاستيلاء وتحقيق مصالح الغربية في خدمته لأغراض الهيمنة الغربية

اتصاف الرواية الما بعد حدثية باللاّ تجانس التاريخي، وعدم التسلسل الزمني، وهذا ما لمسناه أثناء هذه الدراسة.

توصلنا إلى فهم العمل أو الأثر الأدبي ضمن سياقه التاريخي مع التركيز على الجانب الأدبي والثقافي والانفتاح على تاريخ الأفكار وانتقاد المؤسسات السياسية المهيمنة، وتقويض المقولات المركزية السائدة.

التعبير عن حقبة تاريخية معينة بكل أبعادها الإيديولوجية ومخاطرها السياسية، خاصة مع الصراع الإيديولوجي الديني بين الربيع والوافد بن عباد والطقوس التي كانت تقام في الجلفة.

- المقاربات الجديدة تدرس العمل الأدبي على أنه بنية جمالية وشكلية تتضمن بنى تاريخية وثقافية لا شعورية.

*** **

(1) مارك انجيلو، دت، مفهوم التناس في الخطاب النقدي الجديد، ترأحمد المديني، الدار البيضاء، عيون المقالات، ط1، ص102.*

(2) عبد الحميد جودة السحار، دت، القصص الديني، قابيل وهابيل، مصر، دار مصر للطباعة، د.ط، ص8-5*

(3) عبد الحميد جودة السحار، قابيل وهابيل، المرجع السابق، ص11.*

(4) سورة المائدة، الآية: 26-28*

(5) سورة الكهف، الآية 9-16.*

(6) سمير قسيبي، رواية الماشاء...هلايل، المصدر السابق، ص85.*

(7) المصدر نفسه، ص105.*

(8) سمير قسيبي، رواية الماشاء...هلايل، المصدر السابق، ص31.*

(9) سمير قسيبي، رواية الماشاء...هلايل، المصدر السابق، ص32.*

(10) المرجع نفسه، ص47.*

(11) المرجع نفسه، ص23.*

(12) سمير قسيبي، رواية الماشاء...ص162.*

(13) سورة الفجر، الآية 6-12.*

(14) سمير قسيبي، رواية الماشاء...ص96

(15) * عمر أوكان، 1994، لذة النص الكبرى، عالم الفكر، مج 23، ع 2، جويلية،

سبتمبر، أكتوبر، ديسمبر، ص446.

(16) *

إنفتاح الرواية الجزائرية المعاصرة على التناص الما شاء ... هلايل..

- (17) فريدريك نيتشه، 1938، هكذا تكلم زرادشت، ترفليكس فارس، الاسكندرية، دار جريب للطباعة، د.ط، ص 62. *مارتن هايدجر، 1977، نداء الحقيقة، تر عبد الغفار المكاوي، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ط، ص 305.
- (18) المرجع نفسه، ص 306.*
- (19) المرجع نفسه، ص 310-318.
- (20) جمال محمد احمد سليمان، 2009، هايدجر، الوجود والوجود، دار التنوير للطباعة والنشر، د.ط، ص 294.
- (21) هايدجر، الوجود والوجود، المرجع السابق، ص 7.*
- (22) سمير قسيبي، الما شاء هلايل، المصدر السابق، ص 39.*
- (23) المصدر نفسه، ص 40.*
- (24) المصدر نفسه، ص 56.*
- (25) *تودروف، 1989، في أصول الخطاب النقدي الجديد، المديني أحمد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 100.
- (26) شاربل داغر، 1997، التناص سبيلا، مجلة فصول، القاهرة، مج 16، ع 1، ص 128.*
- (27) شاربل داغر، التناص سبيلا، المرجع نفسه، ص 130.*
- (28) ناتالي ببيغفيروس، 2012، مدخل في التناص، تر عبد الحميد بورايو، دمشق، دار نينوى، ط 1، ص 11.*
- (29) جميل حمداوي، نظريات النقد الادبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ص 219.*
- (30) المرجع نفسه، ص 40.*
- (31) سمير قسيبي، رواية الما شاء، المصدر نفسه، ص 14.*
- (32) * Hamdaouidocteur@gmail.com جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، ص 217.
- (33) سمير قسيبي، رواية الما شاء...، المصدر السابق، ص 21.*
- (34) *عموري السعيد، 2016، شعرية النسق والقراءة في الشعر الحدائي، الجزائر، دار الفكر العربي، ط 1، ص 33
- (35) جوفيري نويل، غرامشي وقضايا المجتمع، المرجع نفسه، ص 234.*

- (36)*. ادجار وبيترسيدجويك، 2014، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم و المصطلحات الأساسية، تقديم محمد الجوهري، ترهنا الجوهري، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط2، ص42.
- (37) اندرو ادجار، موسوعة النظرية الثقافية، المرجع السابق، ص42*
- (38) جوفري نويل، غرامشي وقضايا المجتمع، المرجع نفسه، 234.*
- (39) عبد المالك مرتاض، 2007، نظرية النص الأدبي، الجزائر، دار هومة، د.ط، ص 273.*